التيار القومي في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٣٦

الأستاذ المساعد الدكتور
عدي محسن غافل
جامعة كربلاء ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

التيار القومي في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٣٦

الأستاذ المساعد الدكتور
عدي محسن غافل
جامعة كربلاء ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة:ـ

ظهرت فكرة القومية في العراق في بادئ الأمر على شكل مساهمات ثقافية ساهم فيها كل من سعيد عبد الغني جميل وأبو الثناء الالوسي ومحمود شكري الالوسي والتي عبرت عن حس عميق بالانتماء القومي والتمييز عن العثمانيين الا انها لم تكن بالمستوى المطلوب ويعزو البعض تأخر فكرة ظهور القومية والعمل القومي في العراق عن بلاد الشام ومصر إلى كون العراق بعيد عن اثر البعثات التبشيرية والثقافة الأوروبية المباشرة فضلا عن مستوى التعليم الغير جيد وقلة إعداد الطلبة وعدم الاهتمام بالبعثات الى خارج البلاد لإكمال دراستهم العليا ولكن ومع كل ذلك ظهر التوجه القومي عند اشتراك العديد من العراقيين في الجمعيات القومية وانضمامهم إلى القوميين العرب ففي عام ١٩١٠ أيدوا الكتلة التي تشكلت في اسطنبول للمطالبة بحقوق العرب، هذا فضلا عن تأسيسهم العديد من التجمعات والنوادي التي اخذت على عاتقها بث الروح القومية والوطنية بين صفوف العراقيين.

تناولت هذه الدراسة الحركة القومية في العراق منذ جذورها بعد عام ١٩٠٨ اذ حدثت في هذه الفترة بعض الإرهاصات والتطورات الداخلية في الدولة العثمانية كونها المسيطر على العراق، والذي دفع ذلك الى تبني فكرة الدولة القومية من أجل التحرر والاستقلال، هذا فضلا عن تناول مراحل تطور الفكر القومي وتنامي ذلك الفكر الذي اصبح لا يستهان به بمرور الزمن والدور الكبير الذي قامت به الاندية الاجتماعية والثقافية في بلورة الفكر

القومي في العراق من خلال خلقها بيئة ثقافية جيدة اصبحت القاعدة الرئيسية لنشوء الفلسفة القومية التي نادت وبشكل مستمر الى تاسيس وتشكيل الدولة القومية، ومن ثم أنهاء فترة الدراسة بعام ١٩٣٦ كون معظم النوادي القومية تشكلت وتبلورت افكراها وبرمجها فضلا عن بدء تدخل الجيش في السياسة ومن ثم حدوث انقلاب بكر صدقي، الذي ادى الى ظهور مرحلة جديدة في تاريخ العراق والمتمثلة بعسكرة المجتمع العراقي وتدخل العسكر في الحياة السياسية وما تمخض عن ذلك من سيطرة المؤسسة العسكرية ورجالاتها على واقع الحياة السياسية، مما جلب الويلات المستمرة على العراق وما تبعها من حكومات طوارئ ودساتير مؤقتة وما شابه ذلك، مما أدى الى اختلال الوضع وارباكه وبالتالي إنتاج أمور غير طبيعية وبيئة غير صحية أثرت سلبا في واقع الحياة السياسية في العراق بصورة عامة.

اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر المهمة والتي رفدتها بالكثير من المعلومات القيمة، والتي من اهمها كتاب وميض جمال عمر نظمي الموسوم (الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق) اذ ضم هذا الكتاب في ثناياه الكثير من المعلومات الدقيقة والقيمة والمستندة الى الوثائق الرصينة والتي ارخت لمرحلة مهمة من تاريخ العراق الحديث، فضلا عن استخدام الرسائل والاطاريح الجامعية، وفي مقدمتها اطروحة محمد هليل الجابري الموسومة (الحركة القومية العربية في العراق ١٩٠٨-١٩١٤)، التي اغنت الدراسة بالمعلومات الوثائقية المهمة والتي تم الاعتماد عليها في المحور الاول من الدراسة، وأخيراً كان للبحوث والدراسات الأثر الكبير في رفد الدراسة بالمعلومات القيمة، والتي في مقدمتها الدراسة الموسومة (التيار القومي في العراق ١٩٢١-١٩٥٨) للدكتور جعفر عباس حميدي.

وأخيراً جاءت خاتمة البحث والتي تظمنت اهم الاستنتاجات والرؤى المستقبلية التي تم التوصل إليها، فضلا عن هوامش البحث والمصادر التي تم الاعتماد عليها.

الجذور الأولى للتيار القومي في العراق:ـ

أخذت الحركة القومية في العراق بالنمو السريع والنضج الكبير بفضل عوامل خارجية أهمها وصول جماعة الاتحاد والترقي الى الحكم عام ١٩٠٨ في الدولة العثمانية ومن ثم الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤[١]، إذ أدى الطابع القومي التركي للاتحاديين إلى نهوض القومية العربية والعمل على ترسيخها[٢]، فضلا عن ذلك فقد كان لحرية الصحافة دورا مميزا في تنمية الشعور القومي نتيجة مناقشة الكثير من الأمور بصراحة وبصورة علنية والتي أججت المشاعر القومية وعملت على بلورتها بشكل واضح[٣]، وظهرت المحاولات الأولى لتشكيل أحزاب سياسية قومية في العراق بين عام ١٩٠٨-١٩١٢ والتي كانت امتدادا لمنظمات سياسية قائمة في تركيا نفسها فقد فتحت جمعية الاتحاد والترقي فرعا لها في بغداد عام ١٩٠٨ فضلا عن ظهور تجمعات عراقية أخرى[٤]، ارتبطت بمنظمات عربية فمثلا تأسست جمعية النادي الوطني العلمي في بغداد عام ١٩١٢ والتي أسسها كل من مزاحم الباججي وحمدي الباججي وبهجت زينل وإبراهيم حلمي عمر وآخرون، إذ ترأس تلك الجمعية يوسف السويدي وتم إصدار جريدة النهضة التي أوقفت بعد مدة وجيزة من صدورها من قبل السلطات العثمانية، الأمر الذي دفع تلك الجمعية إلى الاندماج مع جمعية البصرة الإصلاحية التي أسست في البصرة في ٢٨ شباط ١٩١٣[٥].

تبنت الجمعيتين برنامج حزب اللامركزية الذي تأسس في مصر أواخر عام ١٩١٢ من قبل المثقفين المصريين والسورين الذين نادوا بضرورة إقامة إدارة

لامركزية للولايات العربية في ظل الإدارة العثمانية وبذلك أصبحت تلك الجمعية المندمجة فرع بارز لحزب اللامركزية[٦].

من خلال ذلك نلاحظ ان نشاط القوميين العراقيين كان متواصل ومستمر على الرغم من الكثير من العقبات العديدة التي كانت تعترض ذلك النشاط، فنلاحظهم يندمجون في نضالهم تارة وتبني أفكار وايدلوجيات من خارج حدود بلدهم تارة أخرى.

أخذ نشاط القوميين العراقيين بالتعاظم شيئا فشيء، إذ شاركوا في هذه الفترة في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس خلال الفترة ١٨-٢٣ حزيران ١٩١٣ إذ مثل القوميين العراقيين كل من يوسف السويدي وسليمان عنبر[٧]، إذ عدت مشاركة العراق مشاركة مهمة وفعالة في ذلك المؤتمر وذات مغزى كبير إذ عد ذلك المؤتمر من ابرز التظاهرات القومية التي أقامها العرب خارج حدود دولتهم من اجل إيصال قضيتهم إلى العالم كله وكانت تلك المشاركة تعبيرا عن حقيقة الوعي العربي ووحدة الموقف تجاه سياسة الاتحاديين على الرغم من فشل ذلك المؤتمر في نهاية الأمر[٨].

نلاحظ هنا وعلى الرغم من المشاركة البسيطة للعراق إلاّ أنها كانت خطوة جيدة ومعبرة كونها كانت خطوة في الطريق الصحيح إذ كانت بدايات تثبيت فكرة الدولة القومية في العراق.

أخذ الحس القومي في العراق بعد ذلك بالظهور والمشاركة في العديد من التظاهرات القومية إذ تم اشتراك بعض العراقيين في إعمال ونشاطات جمعية العهد السرية التي تأسست عام ١٩١٣ وضمت العديد من العسكريين العراقيين أمثال نوري السعيد وياسين الهاشمي وجعفر العسكري، الذين نادوا بضرورة الاستقلال الذاتي للعرب والدعوة إلى تحقيق اللامركزية في الحكم وفتحت

لهذه الجمعية فروع عديدة في كل من بغداد والموصل والبصرة وأصدرت مجلة اللسان التي عملت على نشر الوعي القومي والوطني بين العراقيين والتي أصبحت لسان حالهم المعبر عن واقعهم[٩].

وفي ضوء ما تقدم نلاحظ أن الضباط العراقيين في بادئ الأمر دعوا إلى الحكم اللامركزي في ظل الحكم العثماني، وربما يعود ذلك إلى طبيعة تربيتهم العسكرية، ونتيجة إلى دراستهم في الكلية العسكرية في الاستانة والذي أدى إلى عدم تجرئهم في هذه الفترة والمطالبة بالاستقلال التام، ولكن لا يعني ذلك بأنه مؤشر سلبي على سلوكهم أو تبنيهم لتلك الافكار، بل كانت لتلك الافكار وقعها الكبير في تلك الفترة في ظل حكم عثماني مركزي ومتسلط.

وأبان نشوء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ عبر العراقيين عن وعيهم القومي بعد معاداتهم الأتراك ومساندتهم الحلفاء مقابل اعتراف الحلفاء باستقلال العرب بعد إنيأس القوميين العراقيين بصورة خاصة والعرب بصورة عامة من وعود الأتراك التي لم تكن صادقة وبالتالي اصبحت مجرد كلام غير موثوق به بعد ان اصبح بعيد عن الواقع الملموس والذي عد مجرد كلام للترويض ليس إلاّ[١٠].

اشترك العديد من الضباط العراقيين في ثورة عام ١٩١٦ ضد الأتراك والتي كانت ثورة قومية نادت باستقلال العرب والتخلص من السيطرة العثمانية المتشددة[١١]، ولكن وبعد نجاح الثورة، أصيب النضال القومي العربي في إعقاب ثورة ١٩١٦ بخيبة أمل كبيرة نتيجة عدم إيفاء الحلفاء بوعودهم وبدلا من الوحدة التي كان يتطلع إليها العرب مزقت اتفاقية سايكس بيكو الوطن العربي وقسمته الى وحدات ادارية تفصلها حواجز مصطنعة بحيث أدت إلى تقطيع اوصال الوطن الواحد وقسمته الى اوطان وبلدان صغيرة ومحطمة، إذ كان الهدف الاساس وراء ذلك هو اضعاف العرب وجعلهم امة ممزقة من

اجل السيطرة عليها وتوجيهها وفقا لتطلعات المستعمر وأهدافه من دون وجود معارض قوي لتلك السياسات والايدلوجيات[١٢].

مما تقدم نلاحظ كيف اصطدمت الافكار القومية من جديد بحاجز آخر شكل عقبة جديدة امام تطلعات القوميين العرب وبددت احلامهم في تحقيق استقلالهم وبناء كيانهم، إذ كانت الدولة العثمانية العائق الأول ومن ثم أصبحت كل من بريطانيا وفرنسا ومن تحالف معهم العائق الثاني.

أصيبت الحركة القومية العربية بصورة عامة والعراقية بصورة خاصة بخيبة امل كبيرة بعد تلك المعاهدة التي اجهظت مشروع الفكرة القومية والدولة القومية التي بذل من اجلها الكثير وانعكس ذلك الامر سلبيا على منظري ذلك الفكر ورواده، اذ كانت تلك المعاهدة بمثابة الكابوس والقاتل لكل الاحلام والتطلعات القومية، بعد ان وضع العرب ثقتهم ببريطانيا بدلا من الدولة العثمانية، والذي اتضح لهم ان الفكر الاستعماري واحد مهما تعددت أوجهه واشكاله، ودفعهم الى التفكير بطرق ووسائل جديدة تلبي تطلعاتهم وتحقق اهدافهم المنشودة، مهما تطلب الامر من تضحيات وخسائر[١٣].

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان تاثير تلك المعاهدة كان سلبيا على كل الاوجه ولاسيما على منظري الفلسفة القومية ومريديها، الامر الذي دفعهم الى التفكير بايجاد اساليب اخرى والتي سوف تتطور الى استخدام القوة من اجل تحقيق الاهداف بعد ان تم استنفاذ كل الطرق السلمية المتاحة لذلك، واتضح ذلك في العراق من خلال ثورة العراقيين الكبرى والمتمثلة بثورة العشرين الشعبية والجماهيرية التي كانت عفوية إلاّ أنها كانت معبرة وواقعية عبرت عن الوعي القومي للشعب العراقي والرغبة الشديدة في التخلص من السيطرة الاجنبية.

مراحل تطور الفكر القومي:ـ

بدئت بعد ذلك مرحلة جديدة من النضال القومي من اجل التخلص من السيطرة الاستعمارية الجديدة وعمل العراقيين على تكريس جهودهم من اجل ذلك، حيث قام أعضاء جمعية العهد العراقي بإثارة القبائل وتحريض العشائر في العراق ضد الانكليز وكذلك الحال بالنسبة إلى جمعية حرس الاستقلال السرية التي شكلت في بغداد عام ١٩١٩، والتي دعت إلى استقلال العراق وتنصيب احد أنجال الشريف حسين ملكا عليه، وفضلا عن ذلك قامت تلك الجمعية بدور كبير في تأجيج مشاعر العراقيين الوطنية والقومية والذي تجلى ذلك واضحا في عقد الاجتماعات مع المثقفين وافتتاحها مدرسة أهلية الغاية منها اتخاذها مقرا للالتقاء بالعناصر القومية والوطنية التي ساهمت فيها بعد بثورة عام ١٩٢٠ الكبرى ضد الاحتلال البريطاني، وعلى الرغم من فشل تلك الثورة عسكريا إلا أنها أيقظت الشعور القومي لدى العراقيين من جهة وبينت للانكليز ضرورة تشكيل حكومة وطنية في العراق من جهة أخرى، إذ اتضح للانكليز أن الشعب العراقي جاد هذه المرة في تحقيق استقلاله بعد ان عبر العراقيين عن موقفهم القومي بشكل مختلف وبكل قوة، مما دفع بريطانيا لاتخاذ خيارا جديدا في تعاملها مع العراق ودعوتها الى تشكيل حكم وطني، وهذا ما أيده القوميين العراقيين فتم اختيار فيصل بن الحسين ملكا على العراق والذي تم تنصيبه بالفعل في ٢٣اب ١٩٢١[١٤].

ومما تجدر إليه الإشارة ان ثورة العشرين كانت بمثابة الانطلاقة الجدية الأولى والخطوة الحقيقية في مجال الوعي القومي، إذ كانت حركة ضاغطة ساهمت بشكل كبير في دعم الفكر القومي في العراق بحيث أنتجت حكومة وطنية عراقية كانت أساس لنشوء وتأسيس الدولة العراقية الحديثة.

أصبح نشاط التيار القومي في العراق في هذه المرحلة بعد إعلان تشكيل

الحكومة العراقية في ظل الانتداب البريطاني مركزا على كيفية تحقيق الاستقلال التام واخراج العراق من الانتداب، اذ اختلف التوجه القومي باختلاف المرحلة ومتطلباتها، اذ ارتاى اصحاب المشروع القومي التعامل بدبلوماسية واستراتيجية يشوبها الحذر حفاظا على ما تحقق من انجازات، هذا فضلا عن وجود الملك فيصل الاول والذي تمتع بالحنكة السياسية والاتزان في التعامل مع القضايا القومية واتباع سياسة خذ وطالب، اي اقبل بالقليل وطالب بالمزيد كون ان المقابل اي الدولة المنتدبة قوية ولا يمكن الحصول منها على الامتيازات بالعنف أو القوة، بل يجب التعامل بسياسة ودبلوماسية من اجل تحقيق الغايات والأهداف المنشودة، وبالفعل فقد تبنى أصحاب الفكر القومي تلك السياسة في هذه المرحلة كونها ملائمة لمتطلبات الواقع الجديد، بعد ان قطعوا شوطا كبيرا في مجال النضال القومي وانتقالهم التدريجي من مرحلة التنظير الى مرحلة المواجهة ومن ثم مرحلة الدبلوماسية والمراوغة السياسية و حسب ما تقتضيه الحاجة(١٥).

أخذت بعد ذلك النزعة القومية في العراق بالانحسار التدريجي بعد تحقيق الكثير من الاهداف والوصول الى مراحل متقدمة من الفكر القومي، فمثلا تشكلت في عهد الانتداب إحد عشر حزبا لم تكن هناك اي اشارة في برامجها إلى القومية باستثناء حزب الاستقلال الذي دعى إلى الوحدة القومية واستقلال العراق بشكل كامل(١٦).

ويعود السبب وراء ذلك الى تحقيق الكثير من المكاسب القومية والمتمثلة بتشكيل الحكم الوطني في العراق من جهة والى تغيير الاستراتيجيات من قبل أصحاب المشروع القومي من جهة أخرى، هذا فضلا عن التغيير الكبير الذي حصل في الكثير من المفاهيم والنظريات القومية وما صاحبه من تغير طريقة التفكير ومجيء الكثير من القيادات الشابة وتبنيها لفكرة القومية ومحاولتها

كسب المجتمع العراقي بطرق جديدة تتناسب مع روح العصر ومع التغيير الكبير الذي طرا على المجتمع العراقي بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة[١٧].

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان حركة الفكر القومي في العراق كانت في تطور مستمر، اذ انتقلت من مرحلة القاء المحاضرات وعقد الندوات والاجتماعات الى مرحلة المواجهة المسلحة واللجوء الى القوة والعنف من اجل تحقيق الاهداف المخطط لها ومن ثم مرحلة استخدام الحنكة السياسية والدبلوماسية في التعامل مع الاحداث والقضايا من اجل الوصول الى نتائج ايجابية تصب في خدمة المجتمع باكمله، وهذا بطبيعة الحال كان جزء من الفلسفة القومية العربية بصورة عامة وكون الفكر القومي في العراق جزء منها، اذ ان تلك الفلسفة تاثرت بالعديد من المتغيرات التي طرات على النظريات القومية وعلى مدارس الفلسفة القومية والتي اثرت تاثيرا كبيرا على الواقع داخل المجتمعات ومنها المجتمع العراقي، الامر الذي ادى الى مرور الحركة القومية في العراق بعدة ادوار ومراحل حتى تبلورها ونضوجها بالشكل الذي حقق تطلعات الجماهير واهدافها في تحقيق الاستقلال والعيش الحر والكريم في ظل حكومة وطنية متصلة بالجماهير ومدركة لهمومهم ومشاكلهم.

الأندية والجمعيات الثقافية ودورها في بلورة الفكر القومي:ـ

كان للاندية الاجتماعية والثقافية الدور الكبير والفعال في بلورة الفكر القومي، اذ اصبحت مكانا لتجمع المفكرين والمنظرين والادباء والمثقفين الذين اخذوا يطرحون افكارهم وارائهم في مجال الفلسفة القومية عبر تلك الاندية والتجمعات المعرفية والثقافية التي جذبت الكثير من العقول المفكرة والتي أخذت على عاتقها فيما بعد نشر الوعي القومي بين افراد المجتمع عن طريق العديد من وسائل الاتصال المتمثلة بالصحف والمجلات والندوات والحوارات المباشرة والتي ساعدت على ايصال صوت القومية المعبر والداعي الى

التخلص من الاستعمار وسيطرته والدعوة وبشكل مستمر الى تأسيس الدولة القومية المستقلة.

أخذت الافكار القومية في بداية الثلاثينات من القرن العشرين بالانتشار بشكل واسع وكبير نظرا لتبلور الاراء والافكار القومية بشكل واضح مما انعكس ذلك على مسيرة الحركة القومية واثر فيها تأثيراً ايجابيا، وأخذت بعد ذلك الجماعات التي تبنيت تلك الأفكار تعبر عن وجهة نظرها ومواقفها السياسية، وتجلت تلك الأفكار بالظهور في جمعيات ونواد تبنت الدعوة لفكرة القومية من خلال الثقافة والأدب وكانت أولى تلك المحاولات قد تمت بعد زيارة وفد الجامعة المصرية إلى بغداد عام ١٩٣١ إذا اتفق مجموعة من رجال العلم والعاملون في المجال القومي على تأسيس جمعية باسم (جمعية الثقافة العربية) على ان تكون لها فرعان احدهما في بغداد والأخر في مصر، وبالفعل فقد تم تاسيس تلك الجمعية والتي كان لها الاثر الفعال والكبير في دعم حركة القومية من خلال الثقافة والادب، كون ان الثقافة العربية كان لها دورا مؤثرا في المجتمعات العربية لاسيما المجتمع العراقي والمجتمع المصري اللذان كانا من اكثر المجتمعات العربية وعيا وادراكا وحبا للمعرفة وللتعلم، ولم يقتصر الامر على ذلك فحسب اذ كان العراق ومصر في سباق معرفي كبير، بحيث حاول مثقفوا كل بلد من التاثر بالغرب ونقل التجربة الغربية الى بلده، مما انعكس ذلك على نمو المعرفة والثقافة بصورة عامة في كلا البلدين، وضم فرع بغداد العديد من الشخصيات العراقية أمثال ناجي الأصيل وناجي معروف وحسن الاعظمي وآخرون وكان من اهدافها بث الروح القومية وروح الاتحاد بين العرب ودراسة مظاهر الحياة الاجتماعية في البلدان العربية والسعي لتوحيد الأسس الثقافية والمعرفية في جميع البلدان العربية على حد سواء[١٨].

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان الفكر القومي تأثر تأثراً كبيرا بالوعي المعرفي

والثقافي، بحيث اصبح للادباء والشعراء الدور الكبير والمؤثر في مجتمعاتهم من خلال نشر الحماس وبث روح التنافس والعمل على نشر المعرفة بين اوساط البسطاء كونهم قاعدة كل تغيير وبالتالي تهيئة شريحة كبيرة من شرائح المجتمع وتحضيرها من اجل الوصول الى التغيير المنشود وتحقيق الوعي القومي النموذجي الذي يؤدي في نهاية الامر الى تحقيق الدولة القومية المنشودة.

وبعد ذلك تم تأسيس نادي ثقافي جديد أطلق عليه (نادي القلم) في عام ١٩٣٤ وأصبح جميل صدقي الزهاوي رئيساً للنادي والذي من ابرز أعضائه محمد فاضل الجمالي اذ تركز نشاط هذا النادي على إلقاء المحاضرات وعقد الندوات والاجتماعات ونشد القصائد التي ركزت على المبادئ القومية والوطنية والعمل على شحذ الهمم وبث الروح الحماسية من اجل تأجيج الروح القومية ورفعها الى اعلى المستويات[١٩].

وفي خضم ذلك اراد بعض القوميين العمل بشكل اوسع مع اقتران ذلك العمل بالتنفيذ ومحاولة نشر افكارهم بشكل واسع وإيصال صوتهم إلى كافة الجماهير وعملوا الى التطلع إلى القومية ووجوب ترك السياسة الإقليمية والدعوة الى التخلص من الاستعمار ومصادرته ومن اجل ذلك سعى بعض أساتذة دار المعلمين الابتدائية في بغداد إلى تنظيم أنفسهم في جمعية ثقافية جديدة اطلق عليها اسم جمعية (الجوال العربي) والتي أخذت على عاتقها نشر الوعي القومي والعمل على الدعوة الى استقلال العراق استقلالا تاما، وأجيزت تلك الجمعية في تشرين الأول عام ١٩٣٤ وعملت على الاتصال ببعض الضباط القوميين أمثال صلاح الدين الصباغ من اجل تدريب أعضائها على الأمور العسكرية وتم إصدار مجلة الفتوة وشجعت تلك الجمعية بدورها على نظام الفتوة وتدريب الطلبة غلى بعض القضايا العسكرية فضلا عن تنمية روح الفتوة والرجولة لدى الشباب على أساس المبدأ القومي، وتم نشر

أهدافها في كراس صغير اسمه المنهج القومي العربي، تم من خلاله توضيح العديد من الامور والقضايا في الفلسفة القومية للشباب من اجل غرس مفاهيم الاستقلال والتخلص من المستعمر في انفسهم كونهم اساس المجتمع والقاعدة التي ينطلق منها نحو التغيير، كذلك سعت إلى انشاء وحدة اقتصادية وإزالة الحواجز والتعريفة الكمركية بين البلدان العربية كون ان الوصول الى الوحدة الاقتصادية يعني الوصول الى الوحدة السياسية في نهاية الامر، اذ عدت هذه الطريقة كأحد الطرق المتبعة في بعض المدارس الفلسفية القومية، واتبعت هذه الطريقة عند تحقيق الوحدة الالمانية، اذ تحققت الوحدة الاقتصادية أولاً بعد دعوت بروسيا لذلك كونها اكبر الولايات الالمانية وزعيمة الوحدة ومن ثم تم اعلان الوحدة السياسية وظهرت المانيا كدولة قومية موحدة عام ١٨٧١، وهذا ما دعت إليه جمعية الجوال العربي في العديد من المناسبات متأثرة بطبيعة الحال بالتجربة الالمانية[٢٠].

ومن هنا نلاحظ مدى التاثر الكبير لمنظري الفكر القومي بصورة عامة ومنظري جمعية الجوال العربي بصورة خاصة بالفكر القومي الغربي ومدارسه الفلسفية القومية، وكذلك يبين مدى ثقافتهم واطلاعهم الواسع على تجارب الاخرين ومحاولة التاثر بها ومن ثم نقلها الى بلدهم.

وفي خضم ذلك فقد تم تأسيس نادي المثنى بن حارث الشيباني في عام ١٩٣٥ إذ اخذ النادي على عاتقه نشر الوعي القومي والوقوف بوجه الأفكار الشيوعية والنازية وترأس هذا النادي صائب شوكت وضم في عضويته كل من خالد الهاشمي وصبري مراد ومحمد مهدي كبة وعبد المجيد القصاب وآخرون، واعد النادي منهاج للمحاضرات ذات الطابع القومي واهتم بالقضية الفلسطينية، فضلا عن اتصال النادي بالجمعيات والنوادي القومية في الوطن العربي واصدر النادي مجلة المثنى لتوضيح فكرة القومية كما عمل

النادي على مساندة ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ودعى الى انضمام القوميين العراقيين الى جمعية الدفاع عن فلسطين، فضلا عن المواقف العديدة للنادي وتأكيده في العديد من المناسبات على ضرورة تشكيل الدولة القومية، تلك الدولة التي سوف تضمن حقوق الافراد وتهتم بامورهم بعيدا عن التفرقة والتمييز كونهم من أغلبية قومية وبالتالي سوف يكون الافراد متساوون في الحقوق والواجبات وهذا ما تنشده اغلب البلدان[٢١].

ومما تقدم نلاحظ ان نادي المثنى اختلف بعض الشيء في طرحه لافكاره عن باقي الاندية والملتقيات الثقافية، إلاّ انه في نهاية الأمر كان متفقا معهم في أهدافه القومية وتطلعاته التي تدعو إلى تحقيق الاستقلال التام والتخلص من كل أوجه الاستعمار وتبعاته وهذا ما نادت به اغلب التجمعات الثقافية انذاك فضلا كونه شعارا لأغلب القوميين والاحرار، وكما نلاحظ بان غالبية النشاطات القومية قام به المثقفون والمتعلمون ولاسيما على مستوى التنظير وهذا بطبيعة الحال يعود الى مستوى الوعي والادراك الذي اتسم به اولئك المثقفون وبالتالي والذي تحتم عليهم الدخول في ذلك المعترك، فضلا عن رغبتهم الشخصية بمساعدة بلدهم وتخليصه من الاستعمار ومخلفاته من خلال ترسيخ القومية ومبادئها.

الخاتمة:ـ

بعد استعراضنا لما جاء في هذه الدراسة، نلاحظ أن الحركة القومية في العراق كانت من الحركات الرائدة والمهمة في المنطقة، اذ ساهمت في تأجيج الوعي القومي وبث الروح القومية سواءً ضد الاتراك او ضد الانكليز، وان تلك الحركة لم تأتي من فراغ وإنما جاءت نتيجة ظروف موضوعية ومتطلبات فرضها الواقع فبدئت على شكل تجمعات بسيطة وتطورت الى تجمعات وجمعيات نادت بالفكر القومي وعملت على ترسيخه داخل المجتمع العراقي،

وان الحركة القومية هي التي تصدت بقوة السلاح للاستعمار البريطاني في ثورة العراق لعام ١٩٢٠ وقدمت العديد من التضحيات في سبيل التحرر والاستقلال التام وأفسدت مخططات الاستعمار في الكثير من المناسبات.

إذ عدت تلك الثورة بمثابة النتيجة والمحصلة النهائية لعمل وجهد طويل في مجال العمل القومي، الذي انتقل من مرحلة التنظير الى مرحلة المواجهة المسلحة والتي تمثلت بثورة العشرين التحررية والتي على الرغم من عدم نجاحها عسكريا إلاّ أنها نجحت معنويا وسياسيا بحيث ارغمت المستعمر بايجاد نوع جديد من الحكم في العراق تمثل بتشكيل الحكم الوطني فيه وتنصيب فيصل بن الحسين ملكا باسم الملك فيصل الاول والذي كان من رواد الفكر القومي العربي كونه ابن الشريف حسين احد ابرز دعاة القومية العربية، فضلاعن تجربته القومية الرائدة في سوريا ومن ثم في العراق، الذي قدم له الكثير من اجل النهوض به والسعي لجعله في مصاف الدول القومية الكبرى على جميع الاصعدة.

ودخول التيار القومي بالعديد من المراحل وحتى تبلوره ونضوجه بالشكل النهائي ومدى تاثيره على واقع الحياة السياسية والاجتماعية ومن ثم الانتقال الى مرحلة جديدة من النضال القومي وحسب متطلبات المرحلة لاسيما بعد تشكيل الحكم الوطني في العراق والتحول الى المطالبة باكمال عملية الاستقلال والتخلص من الانتداب وتبعاته.

هذا فضلا عن تبني التيار القومي وباستمرار فكرة تشكيل الدولة القومية المبنية على أساس الفلسفة القومية وعلى غرار نشوء الدول القومية في أوربا بعد ثورات عام ١٨٣٠ القومية التي اجتاحت العديد من الدول الأوربية فعملت على تبني تلك الأفكار لتحقيق الاستقلال والمكاسب القومية المشروعة جراء ذلك، ولاسيما التاثر بالتجربة الالمانية وما حققته من نجاح كبير على

صعيد الافكار القومية وما نتج عنها من اتمام الوحدة الالمانية وظهور المانيا كدولة قومية قوية وموحدة.

ولتحقيق ذلك تم تنظيم الجهود و الأفكار من خلال التجمعات القومية المنظمة أو من خلال تشكيل المنظمات والجمعيات والنواد التي عنيت بالشان القومي والتي كان من ابرزها جمعية الجوال ونادي القلم ونادي المثنى وغيرها من الاندية والجمعيات التي كان الاثر الكبير في دعم الفكر القومي وترسيخ مبادئه في المجتمع العراقي، أو المشاركة بالمؤتمرات والاجتماعات الكبرى من اجل ايصال صوت العراق القومي، فضلا عن الدور الكبير الذي قامت به الصحافة عن طريق ما تم نشره من افكار وكتابات كان له الشأن الكبير في بث الروح القومية وتكريس تلك الروح ومحاولة اطلاع الطبقة العامة على تلك المبادئ كونها القاعدة الأساسية التي يجب ان ينطلق منها الوعي القومي بما يتضمنه من أفكار ومبادئ وقيم، من أجل تحقيق الأهداف المنشودة في نهاية المطاف.

هوامش البحث

(١) وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، بيروت، ١٩٨٤، ص٨٥

(٢) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٠.

(٤) زين النور زين الدين، نشوء القومية العربية، دراسة تاريخية في العلاقات العربية - التركية، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٢.

(٥) محمد هليل الجابري، الحركة القومية العربية في العراق ١٩٠٨-١٩١٤، أطروحة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص٣٢.

(٦) خالد حسن جمعة العاني، التوجه القومي في العراق، مجلة الدراسات القومية والاشتراكية، العدد ٢، ٢٠٠١، ص٣٦.

(٧) فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤ - ١٩٥٨، الكويت، ١٩٨٤، ص٢٢.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٨

(٩) جعفر عباس حميدي، التيار القومي في العراق ١٩٢١ - ١٩٥٨، مجلة أفاق عربية، العدد١٠، ١٩٨٤، ص٤٥.

(١٠) حسين جميل، العراق الجديد، بيروت، ١٩٥٨، ص ١٠؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، ط٧، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١١٢.

(١١) فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٢، بغداد، ١٩٧٨، ص٤٢.

(١٢) المصدر نفسه، ص٤٥.

(١٣) حنان عبد الكريم خضير الآلوسي، الحركة القومية العربية في العراق ١٩٣٢-١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥، ٧٢ص.

(١٤) المصدر نفسه، ص٧٥؛ المس بيل، مذكرات المس بيل، ترجمة جعفر الخياط، لخصه، رسول محمد علي، ط١، بغداد، ٢٠٠٣، ص ١٠٠.

(١٥) منشورات الفرع الثقافي العسكري، العراق الثائر، دمشق، د-ت، ص ٢٢.

(١٦) قيس الياسري، صحافتنا ودورها في تحديد الهوية القومية، مجلة أفاق عربية، العدد١٦، ١٩٩١، ص٩٥.

(١٧) فاضل حسين، محاضرات عن مؤتمر لوزان واثاره في البلاد العربية، بغداد، ١٩٦٧، ص ٣٠.

(١٨) قيس الياسري، المصدر السابق، ص ٩٦.

(١٩) عماد احمد الجواهري، نادي المثنى بن حارثة الشيباني، مجلة أفاق عربية، العدد١، ١٩٨٣، ص٤٦.

(٢٠) حنان عبد الكريم خضير الالوسي، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢١) عماد احمد الجواهري، المصدر السابق، ص ٥٠.

قائمة المصادر

١- المس بيل، مذكرات المس بيل، ترجمة جعفر الخياط، لخصه رسول محمد علي، ط١، بغداد، ٢٠٠٣.

٢- جعفر عباس حميدي، التيار القومي في العراق ١٩٢١-١٩٥٨، مجلة أفاق عربية، العدد١٠، ١٩٨٤.

٣- حسين جميل، العراق الجديد، بيروت، ١٩٥٨

٤- حنان عبد الكريم خضير الآلوسي، الحركة القومية العربية في العراق ١٩٣٢-١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥.

٥- خالد حسن جمعة العاني، التوجه القومي في العراق، مجلة الدراسات القومية والاشتراكية، العدد ٢، ٢٠٠١.

٦- زين النور زين الدين، نشوء القومية العربية، دراسة تاريخية في العلاقات العربية –التركية، بيروت، ١٩٧٩.

٧- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، ط٧، بيروت، ٢٠٠٨.

٨- عماد احمد الجواهري، نادي المثنى بن حارثة الشيباني، مجلة أفاق عربية، العدد١، ١٩٨٣.

٩- فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، بغداد، ١٩٧٨.

١٠- فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤- ١٩٥٨، الكويت، ١٩٨٤.

١١- ----------، محاضرات عن مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية، بغداد، ١٩٦٧.

١٢- قيس الياسري، صحافتنا ودورها في تحديد الهوية القومية، مجلة أفاق عربية، العدد١٦، ١٩٩١.

١٣- منشورات الفرع الثقافي العسكري، العراق الثائر، دمشق، د.ت.

١٤- محمد هليل الجابري، الحركة القومية العربية في العراق ١٩٠٨-١٩١٤، أطروحة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٠.

١٥- وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، بيروت، ١٩٨٤.